الصحة النفسية وسياقات التصدي المجتمعي للتطرف والإرهاب

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocAyassiriMH&Extremism.pdf

الدكتور ماجد الياسري
alyassiri@aol.com

كان أحد نتاجات عولمة الإرهاب وامتداده الى مختلف بلدان العالم العربي و الإسلامي واوروبا وأمريكا واستراليا هو انتشار أفكار التطرف والتحاق عشرات الالاف من الشباب بالمنظمات الإرهابية بتعدد مسمياتها وأنواعها متنقلين بين سوريا والعراق وليبيا وغيرها واعتبرت هذه البلدان الإرهاب والتصدي له عسكريا واستخباراتيا ومجتمعيا خاصة على صعيد مكافحة نمو مظاهر التطرف بين الشباب ومن الجنسين من الأولويات الوطنية ومهمة لكافة مفاصل الدولة ومؤسساتها.

فمثلا يتم على الصعيد الوطني في سياقات التصدي للإرهاب رسم خطة وطنية عليا لمكافحة الإرهاب تشمل الجوانب الأمنية والعسكرية والاستخباراتية والإعلامية تقودها هيئات وفرق عمل متخصصة وترصد لها ميزانية خاصة تفي باحتياجاتها. الا ان التحدي الأكبر هو على الصعيد المجتمعي خاصة في إيجاد و تطوير اليات قادرة على رصدو تشخيص و متابعة و مساعدة الشباب الذين نتيجة عوامل اجتماعية و نفسية و اقتصادية و سياسية يصبحون عرضة للانسياق و الخضوع الى الإرهابيين المحترفين من الدعاة و المحرضين لتبني التطرف فكرا و ممارسة الى حد الانتماء الفعلي الى تنظيمات سرية و المشاركة في أنشطة إرهابية في الشرق الأوسط او شمال افريقيا او بتنفيذ جرائم في داخل البلد ذاته كما حدث في بريطانيا و أمريكا و استراليا و فرنسا و المانيا و بلجيكا سواء المشاركة مع عدد اخر من الإرهابيين للتنفيذ (عملية شارلي ابيدو مثلا في باريس) او منفردا (كحادثة قتل العسكري ريجبيفي منطقة ويليج في لندن او حوادث القتل بالدهس كما حدث في نيس و برلين) . وتشير الدلائل ان سياسة داعش الحالية هو توجيه المتعاطفين معها او من يود الانضمام لها بالبقاء في بلدانهم واستخدام كلما هو ممكن و متاح كأسلحة لقتلو ترويع المواطنين مثل وسائط نقل او بالسكين و مساعدة الإرهابيين والمتطرفين ماليا و لوجيستيكيا او استخدام أدوات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والتوتر والفضاء الرقمي للترويج للأفكار الإرهابية الداعشية.وهناك تقديرات أيضا ان هزيمة داعش في سوريا و العراق ستعقبها هجرة معاكسة الى البلدان الخليجية و شمال افريقيا و مختلف بلدان العالم الغربي من قبل عناصر مدربة بشكل عال عسكريا و تقنيا

كان أحد نتاجات عولمة الإرهاب وامتداده الى مختلف بلدان العالم العربي و الإسلامي واوروبا وأمريكا واستراليا هو انتشار أفكار التطرف والتحاق عشرات الالاف من الشباب بالمنظمات الإرهابية بتعدد مسمياتها وأنواعها

يتم على الصعيد الوطني في سياقات التصدي للإرهاب رسم خطة وطنية عليا لمكافحة الإرهاب تشمل الجوانب الأمنية والعسكرية والاستخباراتية والإعلامية تقودها هيئات وفرق عمل متخصصة وترصد لها ميزانية خاصة تفي باحتياجاتها

ان التحدي الأكبر هو على الصعيد المجتمعي خاصة في إيجاد و تطوير اليات قادرة على رصدو تشخيص و متابعة و مساعدة الشباب الذين نتيجة عوامل اجتماعية و نفسية و اقتصادية و سياسية يصبحون عرضة للانسياق و الخضوع الى الإرهابيين المحترفين من الدعاة و

النموذج المجتمعي البريطاني

واجهت بريطانيا خلال السنوات الماضية تحديا خطيرا حيث ذهب الى تركيا والعراق وسوريا ما يقارب 800 شابا وشابة للانخراط في تنظيمات داعش عاد منهم بحدود 50% كما وازداد عدد المعتقبين في بريطانيا بتهم إرهابية بنسبة 35 % في عام 2015 مقارنة ب 2010. وفي الفترة ما بين 2015-2016 أوقفت شبكة تويتر 125000 حسابا لعلاقتها بالإرهاب وحذف جوجل مايقارب 14 مليون فيديو. وهناك شبه اتفاق بين المختصين على ان تفسير الانحراف نحو التطرف له أسباب و دوافع وعوامل مساعدة و اخرى جاذبة الا ان المحصلة النهائية هو الوقوع في فخ و حبائل الأوساط

المشجعة و الممولة للإرهاب ولكن وبسبب ان كل فرد يسلك طريقه الخاص فان قضية تشخيص و تحديد البدايات الأولى صعبة جدا وهي موضع جدل ودراسات معمقة من مراكز الأبحاث مع اجماع على أهمية الدور المؤثر و الفعال لشبكات التواصل الاجتماعي في ترويج الفكر الإرهابي و التجنيد اصافة الى استخدامها كوسيلة اتصالات و تخابر و تبادل المعلومات و استلام التوجيهات .

وفي بريطانيا مثلا تم وضع برنامج وطني للتصدي لكافة اشكال التطرف والإرهاب على الصعيد المجتمعي في المدن البريطانية وعلى مستوى البلديات والإدارات المحلية وبالتعاون مع المؤسسات الحكومية والتربوية والصحية بهدف الوصول الى الضعفاء ممن يمكن ان ينساقوا الى الفكر المتطرف والإرهابي ومساعدتهم وحمايتهم وعوائلهم من التبعات الخطيرة التي تهدد حياتهم والاخرين والامن الوطني. والهدف الرئيسي هو حماية هؤلاء الشباب و عوائلهم من مخاطر الانزلاق في النشاطات التطرفية العنيفة التي قد تؤدي بهم الى الموت او الوقوع تحت طائلة القانون في حالة ارتكاب أفعال مخالفة للقانون

ولهذا البرنامج محورين

المحور الأول و يسمى ب " **المنع** " و هي هيئة على مستوى إدارة محلية يديرها متخصص من الإدارة المحلية في سياقات التصدي للتطرف والعنف المجتمعي نتيجة الترويج للكراهية و البغضاء على أساس عنصري و تضم أعضاء من مؤسسات المجتمع المدني المحلية كتنظيمات محلية من الجاليات الأسيوية و الشرق أوسطية او منظمات شبابية و مراكز دينية وتعني بالتطرف بكافة اشكاله و انواعه ودورها في التصدي الأيديولوجيا لترويج للفكر المعادي للتطرف و تشجع وتعمل على التلاحم المجتمعي و تعزيز المناعة المجتمعية ضد كل اشكال البغضاء و العداء و تقوية روح المواطنة و احترام حقوق الانسان و التنوع المجتمعي و يمتد نشاطها الى المؤسسات و الأندية و المدارس لرفع مستوى الوعي تجاه ايديولوجيات و ممارسات التطرف و كل ما يشبع مظاهر العداوة و البغضاء في المجتمعات المحلية لمنع انحدار الشباب نحو البؤر التي تشجع الإرهاب . ويشمل دورها اقتراح دورات تدريبية لتطوير كوادر تدريسية ذات خبرة في فهم وتشخيص مظاهر التطرف وإحالة الافراد الذين يطهرون نقاط ضعف على مستوى السلوك او الفكر للانخراط في نشاطات ذات صلة بالتطرف والإرهاب وتقديم مناهج دراسية للتصدي لإشكال التطرف في المدارس.

وبسبب حساسية الموضوع وعلاقته بسياقات التصدي الوطني للإرهاب كان هناك جدل حول موضوعين الأول عن خطر تقويض الحريات الشخصية والثاني التركيز على أيديولوجيا دينية محدد ة كسبب للتطرف والذي قل بعد ان تم تدقيق المفاهيم والسياقات وضمان احترام حرية ممارسة الشعائر والتمييز بين الدين كحق روحي انساني والتوظيف السياسي للدين الهادف الى الترويج للتكفير والإرهاب. هذا الجدل سيستمر وهو امر إيجابي لأنه يسهم في خلق التوازن الذي يسمح بديمومة الدولة المدنية **2** ويبعد مخاطر السياقات الخاطئة المعتمدة على تقديرات غير دقيقة

المحور الثاني ويسمى ب " **التواصل** " والذي عمم في نيسان2014.ويتكون اطاره التنظيمي من لجنة تتشكل من فريق عمل مهني متعدد الاختصاصات والكفاءات ويقوم بتقديم الخبرات والدعم وحماية الافراد الذين أصبحوا تحت تأثير الأفكار المتطرفة والإرهابية.ويقود الفريق المهني شخصية من كوادر الإدارة المحلية مؤهل ويقوم باستلام الاحالات من جمعيات خيرية أو منظمات ومنها مدارس ومؤسسات دينية ومراكز صحية أو عوائل او افراد. وتصان المعلومات الشخصية مع شفافية في اشكال وأساليب التعامل وبهدف حماية الشخص وتقديم الدعم والعون والمساعدة والنصيحة معضم ان سرية المعلومات

المحرضين لتبني التطرف فكرا و ممارسة

في الفترة ما بين 2015-2016 أوقفت شبكة تويتر 125000 حسابا لعلاقتها بالإرهاب وحذف جوجل مايقارب 14 مليون فيديو

هناك شبه اتفاق بين المختصين على ان تفسير الانحراف نحو التطرف له أسباب و دوافع وعوامل مساعدة و اخرى جاذبة الا ان المحصلة النهائية هو الوقوع في فخ و حبائل الأوساط المشجعة و الممولة للإرهاب

ان قضية تشخيص و تحديد البدايات الأولى صعبة جدا وهي موضع جدل ودراسات معمقة من مراكز الأبحاث مع اجماع على أهمية الدور المؤثر و الفعال لشبكات التواصل الاجتماعي في ترويج الفكر الإرهابي و التجنيد اصافة الى استخدامها كوسيلة اتصالات و تخابر و تبادل المعلومات و استلام التوجيهات

في بريطانيا مثلا تم وضع برنامج وطني للتصدي لكافة اشكال التطرف والإرهاب على الصعيد المجتمعي في

الشخصية ويتم قبوله فقط في حالة موافقة الشخص المحال ذاته طوعيا.وبعدها يتم تدقيق وتحليل المعطيات المتوفرة من العائلة والمدرسة وغيرها لتفادي الاخبار الكاذب لأغراض عدائية ومن ثم اجراء عملية التقييم الاولي وبضمنها تدقيق وتقييم المخاطر في إمكانية التصدي للتطرف وشدة الحالة حسب السياقات المتبعة مع مواصلة تقييم الاستجابة للمساعدة المقدمة للشخص. و تناقش الحالة في اجتماع لجنة التواصل الدوري للتاكد من ان هذا هو الأسلوب المناسب و الأفضل للتعامل معها و تحديد الجهات المتخصصة نفسية او اجتماعية و غيرها التي يجب تحويل الحالة لها واية جهات مهتمة بمعالجة و التصدي للمخاطر ومنها مثلا اجتماع تقييم الحالات الصعبة او الجهات و المؤسسات التي تقدم الدعم من النشاطات المختلفة و تقليل العزلة المجتمعية عبرالتدريب و المساعد ة في المشاركة في البرامج التعليمية و العامة التي تشجع الاختلاط و التواصل مع الاخرين و الساعدة في توفير مجالات التعليم و السكن و الصحة و تنظيم جيأة الشخص كالعمل و المهنة و الدعم العائلي و الروحي حسب طبيعة ونوع التطرف . فعلى سبيل المثال هناك شخصيات من طوائف دينية تتولى تقديم النصح والارشاد الروحي والتصدي للفكر المتطرف.

ومن أعضاء الفريق الأساسيين الباحث الاجتماعي والمرشد النفسي الذي يسهل عملية التواصل مع المؤسسات الاجتماعية او النفسية التابعة مثلا لوزارة الصحة.

وما يلي جدول احالات من 2007 و لغاية 2014

السنة	عدد الاحالات
07-06	5
08-07	75
09-08	179
10-09	467
11-10	599
12-11	580
13-12	748
14-13	1281
المجموع	3934

من هؤلاء 1450 اقل من عمر 18 سنة منهم 50% من ديانات غير الإسلام 3

التطرف والصحة النفسية

وتأتي أهمية التواصل مع المؤسسات الصحية النفسية في ان التقديرات حول أهمية ودور العوامل النفسية التي تتطلب تداخلا سريريا مهنيا قد اختلف خلال العقد الأخير وخاصة بعد 11 أيلول 2001. ففي السبعينات مثلا كان التصور الغالب هو عدم وجود علاقة بين السلوك الإرهابي والحالات النفسية السريرية كالمرض العقلي وقد بني هذا الاستنتاج على أساس تحليلي لعدد محدود جدا من الدراسات المتوفرة التي اعتمدت على الملاحظة بسبب صعوبة الوصول الى عينات يمكن دراستها بحثيا

وفي 2007نشر فريق بحثي بأشراف البروفسور بول ميلين أستاذ الطب النفسي العدلي و مدير معهد الصحة النفسية العدلية في فيرفيلد في استراليا دراسة عن 24 حادث عنفي استهدفت شخصيات سياسية عامة في اوربا الغربية بين الفترة 1990–2004 أدت الى وفاة 5 و أصابه 8 بجروح خطيرة . 10 من الذين ارتكبوا العمل العنيف يعانون من مرض عقلي (وهم المسؤولين عن

المدن البريطانية وعلى مستوى البلديات والإدارات المحلية وبالتعاون مع المؤسسات الحكومية والتربوية والصحية بهدف الوصول الى الضعفاء ممن يمكن ان ينساقوا الى الفكر المتطرف والإرهابي ومساعدتهم وحمايتهم وعوائلهم من التبعات الخطيرة التي تهدد حياتهم والاخرين والامن الوطني

تأتي أهمية التواصل مع المؤسسات الصحية النفسية في ان التقديرات حول أهمية ودور العوامل النفسية التي تتطلب تداخلا سريريا مهنيا قد اختلف خلال العقد الأخير وخاصة بعد 11 أيلول 2001

في السبعينات مثلا كان التصور الغالب هو عدم وجود علاقة بين السلوك الإرهابي والحالات النفسية السريرية كالمرض العقلي وقد بني هذا الاستنتاج على أساس تحليلي لعدد محدود جدا من الدراسات المتوفرة التي اعتمدت على الملاحظة بسبب صعوبة الوصول الى عينات يمكن دراستها بحثيا

من أهم الاستنتاجات

1. نسبة كبيرة من منفذي العمليات يعانون من مرض عقلي
2. وجود اعراض سبقت الاعتداء تشير الى احتمالات الهجوم العنيف

اغلب حالات الوفاة و الجروح الخطيرة) و 9 فقط لأسباب سياسية. و من أهم الاستنتاجات

1. نسبة كبيرة من منفذي العمليات يعانون من مرض عقلي
2. وجود اعراض سبقت الاعتداء تشير الى احتمالات الهجوم العنيف
3. تشخيص هذه العلاقة ممكن ان تقلل من مخاطر اعتداءات لاحقة عبر اعطاءهم الفرصة للعلاج لتقليل مخاطر الاعتداءات مستقبلا

3. تشخيص هذه العلاقة ممكن ان تقلل من مخاطر اعتداءات لاحقة عبر اعطاءهم الفرصة للعلاج لتقليل مخاطر الاعتداءات مستقبلا

وفي دراسة استعراضية نشرها جيف فيكتوروف أستاذ في قسم الاعصاب و الصحة العقلية في كاليفورنيا في 2005(5) استعرض فيها العلاقة المعقدة بين الإرهاب و الصحة النفسية على أساس معطيات اكاديمية لدراسات منشورة في مجلات علمية رصينة و النظريات التي تحاول تفسير السلوك الإرهابي على أساس سوسيولوجي بالاعتماد على نظريات علم الاجتماع (فرضيات منها التعلم الاجتماعي وفرضية الإحباط – العدوان او الحرمان النسبي او الاضطهاد او البيئة الحضارية النسبية) او بالاعتماد على العلوم النفسية ومنها أنماط شخصية الإرهابي التي تم توصيفها على أساس قياسات للشخصية او نظرية الخيار العقلاني أو بالاعتماد على التحليل النفسي (والتي يقسمها الى أربعة اتجاهات الأولى توكد على نظرية الهوية و الثانية حول النرجسية و الثالثة تركز على البارا نويا و الاخيرة حول التفكير المطلق) او على فرضيات أخرى مثل النظرية العقلية او السلوك الذي يسعى الى الاثارة او السلوك الذي أساسه الإحساس بالمذلة و السعي نحو الانتقام او المعتمدة على الديناميكية الداخلية للجماعات.

ان ما قدمته الفرضيات النفسية لتحليل السلوك الارهابي مخيبا وافتقدت الاستنتاجات المبنية على بحوث رصينة

وبشكل عام فان ما قدمته الفرضيات النفسية لتحليل السلوك الارهابي مخيبا وافتقدت الاستنتاجات المبنية على بحوث رصينة والذي هو نتاج عوامل عدة منها: –

1. صعوبات عملية بسبب ان اجراء بحوث و انتقاء عينة مناسبة يتطلب التواجد في مناطق غير مستقرة سياسيا وساخنة امنيا , ولهذا نجد ان اكثر من كتب ملاحظات عن سلوكيات الإرهابيين هم من الإعلاميين و ليس اكاديميين متخصصين

نجد ان اكثر من كتب ملاحظات عن سلوكيات الإرهابيين هم من الإعلاميين و ليس اكاديميين متخصصين

2. ان الجهات الرسمية التي تقود عملية مكافحة الإرهاب لا تتعاون مع جهات اكاديمية وطنية او دولية لأجراء بحوث رصينة ذات أهمية للبلد ذاته بالدرجة الأولى عبر انتقاء عينات مناسبة حسب مواصفات البحث و يعكس حالة ما أسمية بمرض " عسكرة " التصدي للإرهاب الذي يرى ان مكافحة الإرهاب تتم عبر العمليات العسكرية فقط و لا يجد أهمية في ما يمكن ان تنتجه دراسات رصينة من هذا النوع في اغناء سياقات التصدي للإرهاب مثلا حتى على الصعيد الأمني

ان الجهات الرسمية التي تقود عملية مكافحة الإرهاب لا تتعاون مع جهات اكاديمية وطنية او دولية لأجراء بحوث رصينة ذات أهمية للبلد ذاته بالدرجة الأولى عبر انتقاء عينات مناسبة حسب مواصفات البحث و يعكس حالة ما أسمية بمرض " عسكرة " التصدي للإرهاب

3. ان الارهابين ذاتهم غير متحمسين للتعاون مع بحوث من هذا النوع وتنظر اليها و للقائمين بها بعين الشك .

4. ان "البرادايم" او النموذج النظري لتفسير السوك الإرهابي معقد وموضع جدل وبالتالي لا يسهل عملية رسم منهاج بحثي لدراسة الظاهرة

ان "البرادايم" او النموذج النظري لتفسير السوك الإرهابي معقد وموضع جدل وبالتالي لا يسهل عملية رسم منهاج بحثي لدراسة الظاهرة

وفي استعراض نشر حديثا لاهم البحوث حول العلاقة بين الاضطرابات النفسية (2016) من قبل باحثين لهم اهتمام بها الموضوع كان اهم استنتاج هو زيادة نسبة الحالات المرضية العقلية لدى الإرهابيين المصنفين كهجوم من نوع "ذئب منفرد" 5

في استعراض نشر حديثا لاهم البحوث حول العلاقة بين

وفي نوفمبر 2016 عقد مؤتمر متميز والأول من نوعه في مدينة كامبردج ضم العشرات من الأطباء المتخصصين بالطب الشرعي و العدلي من بريطانيا وأوروبا و أمريكا و كندا تحت عنوان "التطرف و الإرهاب و الخدمات الصحية النفسية " و قدمت فيه بحوث و تجارب عملية اكدت جميعها على ضرورة الاهتمام بتقييم الصحة النفسية لدى الشباب الذين يقحمون في دوامة التطرف و أيضا اعتماد معايير موضوعية لتقييم المخاطر مع برامج عملية سريرية للتصدي لها

ويمكن تلخيص الموقف العام الحالي ان هناك حاجة الى المزيد من البحوث الرصينة تتناول دور الحالات النفسية السريرية في صيرورة " العقل الإرهابي "وتأثيراته على السلوك العنفي المتطرف

الاضطرابات النفسية (2016) من قبل باحثين لهم اهتمام بها الموضوع كان اهم استنتاج هو زيادة نسبة الحالات المرضية العقلية لدى الإرهابيين المصنفين كمجرم من نوع "ذئب منفرد"

ضرورة الاهتمام بتقييم الصحة النفسية لدى الشباب الذين يقحمون في دوامة التطرف و أيضا اعتماد معايير موضوعية لتقييم المخاطر مع برامج عملية سريرية للتصدي لها

يمكن تلخيص الموقف العام الحالي ان هناك حاجة الى المزيد من البحوث الرصينة تتناول دور الحالات النفسية السريرية في صيرورة " العقل الإرهابي "وتأثيراته على السلوك العنفي المتطرف

المصادر

1. التقرير الثامن للجنة الشؤون الداخلية في مجلس العموم البريطاني

2. تقرير منظمة ليبرتي لحماية الحقوق الشخصية والمدنية حول سياقات مكافحة الإرهاب

3. من إحصائيات وزارة الداخلية البريطانية

4. The role of mental disorder in attacks on European politicians 1990-2004., P. E. Mullen et al (2007) , Acta Psychiatrica Scand., 116,334-344

5. The Mind of the Terrorist: A Review and Critique of Psychologicalapproaches., Jeff Victoroff et al (2005) , The Journal of Conflict Resolution, Vol. 49, No. 1 (Feb., 2005)

6. Mental health disorders and the terrorist ., Emily Corner etal (2016) studies in conflict and terrorism .,Vol39,No6,P560

*** *** ***

ارتباطات ذات صلة

مجلة شبكة العلوم النفسية العربية

مجلة محكمة في علـــوم وطب النفـــس

العـــدد 25-26 شتـــاء & ربيـــع 2010

الملـــف "سيكولوجيـــة التطـــرف العنفـــي"

المشرف أ. د. سامر جميل رضوان - سوريا

srudwan@hotmail.com

رابط شراء العدد

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=109&controller=product&id_lang=3

(يتم إرسال رابط تحميل العدد مباشرة بعد تلقي رسوم الشراء)

-- -- -- -- --

الفهـرس والافتتاحية (تحميل حر)

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ25-26/apnJ25-26-Content.pdf

-- -- -- -- --

ملخصـــات كامـــل العـــدد 25-26

www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ25-26/apnJ25-26.HTM